

## الكوميديا في السينما الجزائرية نظرة استشرافية أم حنين إلى الماضي

العابد عبد العزيز

جامعة الجلفة

فوق رأس رجل ليس أمرا مضحكا إنما المضحك هو رؤية صاحبها يجري خلفها وشعر راسه طائر في الهواء و ذيل سترته يخفق ورائه وحين يتنزه رجل في الطريق. فإن ذلك لا يحمل على الضحك فإذا وضع هذا الرجل في موقف حرج ومعب فهذا يبعث على الضحك.<sup>1</sup>

وهذا يبدو جليا في أغلب أفلامه فمعظم الأمور المضحكة مبنية على هذا الأمر فأغلب أفلامه بصور رجال بوليس يقعون في المجاري، أو يتعثرون في طلاء النقاشين ويتعرضون للمتاعب إن رؤية تلك المغامرات هو ما يبعث علي الضحك.

"إن نجاح شابن في إثارة ضحك الناس في مختلف أنحاء العالم .بينما القصص التي تبعث على الضحك في غالب الاحيان حزينة...فهو شخصية في "سماء كوميديا الفن"أدى به كرهه للظلم الى إعتناق فلسفة غير مرغوب فيها.<sup>2</sup>

وهذا ما يبدو جليا في فيلمه الغلام . إذ أنه يدافع عن غلام صغير رياه صغيرا ضد أعوان الحكومة الذين يأخذون الاطفال بدون عائلة إلى ملاجئ الأيتام فهو يدافع عنه بطريقة تثير الضحك ولكن المأساة تظهر بعد رفضه الإستسلام ومعانقة الطفل باكيا و رفضه تركه.

وهناك كوميديا من نوع آخر وهي كوميديا "باستركيتون" فأفلام هذا الأخير تصور في الغالب كفاح

تعتبر السينما ذلك الفن الشعبي بامتياز. إذ أنها منذ بدايتها لاقت إهتماما جماهيريا كبيرا منذ إختراع الجهاز الأول للعرض السينماتوغراف من طرف الإخوة لومبير و قد كانت في بداياتها بهجة لمن إخترعوها لأنها مثلت فتحا جديدا مع أن الفيلم الأول لم يدم أكثر من خمس ثوان وقد كانت أغلب الأفلام الأولى مجرد عرض لصور متحركة.

وقد كانت الأفلام الأولى صامتة أي بدون حوار ولا موسيقى ولا مؤثرات خاصة وهذا لأنه حتى ذلك الأن لم يكن قد أخترع جهاز لدمج الصوت مع الصورة لذلك فالممثلون والمخرجون قد استعاضوا عن الحوار بالإيماءات والحركات المعبرة وأحسن مثال عن ذلك أفلام تشارلي شابن ذلك الممثل والمخرج الأسطورة الذي كان يستعمل البانتوميم والحركات الأكروباتية بشخصية المرححة التي تستجدي الضحك .فكان أول من استعمل المأساة المضحكة في أفلامه او ما اصطلح عليه بالتراجو كوميديا وقد لاقت أفلامه شهرة كبيرة حتى بعد ظهور السينما الناطقة.

يقول شابن: " يسألني الناس دائما عن سر إضحائي للجمهور ...والأمر الذي أعتمد عليه أكثر من غيره هو وضع الجمهور أمام شخص يجد نفسه متورطا في موقف حرج يدعو إلى السخرية .إن مجرد طيران قبة من

العمل من أجل تغييره . كذلك يؤدي الإستهزاء من الشيء إلى النفور منه مع مرور الوقت.

" فالكوميديا تثير الضحك تجاه المواقف التي تنشأ في الواقع و الضحك يجر إرادة الروح الطيبة فالكوميديا تجربنا أن الحياة حسنة جدا و مرحة جدا و ذلك لا يتحقق إلا بوسائل مصطنعة فالكاتب المسرحي يسدل الستارة في الوقت المناسب بالنسبة للأبطال بعد أن يحققوا مأربهم اي عندما تصيب إرادة الحياة إنتصارا"<sup>5</sup>

وقد أطلقت لفظة كوميديا على نوع مسرحي يناقض التراجيديا فالكوميديا تعنى بالإنحرافات و الحماقات فيما تتناول الأخرى الجريمة إذ لخص الشاعر الروماني "هوراس" مستوى الإدراك ونوعية الفهم الذي تنطوي عليهما الكوميديا والتراجيديا بقوله " الدنيا كوميديا للذين يفكرون فيها وتراجيديا للذين يحسون"<sup>6</sup> وهذا الكلام ينطبق على الموضوعات التي تعالجها الكوميديا، فبحسب رأي هوراس فالدنيا مجرد كوميديا إذا أعملنا رأينا فيها.

كما أن الكوميديا تتميز بخصائص تميزها عن باقي الأنواع الدرامية الأخرى، فقد إتخذت الكوميديا هدفا لها تصوير النقائص الإجتماعية بطريقة فكاهة غير مؤلمة، لذلك فالتعبير الكوميدي يجب أن يحتوي على " الدعابة والفكاهة والظرف، حيث تتضح الصورة الكوميديية بحس الفكاهة والدعابة ... كلام أو حوار ينطوي على الدعابة"<sup>7</sup>

كما تعتمد على السخرية والكاريكاتورية والتلقائية وهي السخرية من سواقط البشر وزلاتهم بطريقة كاريكاتورية تتميز بتضخيم الحدث أكثر من الصورة الواقعية، بعيدا عن التكلف و المبالغة.

شاب يحاول الوصول إلى غايته و ما يستدر الضحك هو طريقة الوصول و التي تكون دائما هي الطريقة الأصعب.

## 1\_تعريف الكوميديا

"الكوميديا من الكلمة اليونانية KOMIDIA وهي أغنية طقسية كان يغنيها المشاركون المنتكرون بأقنعة حيوانية في مواكب الإله ديونيزوس في الحضارة اليونانية...واعتبرها أرسطو نوعا مسرحيا يناقض التراجيديا فكما تكون التراجيديا محاكاة لأفعال جلييلة تقوم بها شخصيات عظيمة تكون الكوميديا محاكاة لأفعال الأذباء تقوم بها شخصيات من مرتبة وضيعة ولكن لا بمعنى وضاعة الخلق على الإطلاق فإن المضحك ليس إلا قسما من القبيح"<sup>3</sup> فالكوميديا في مجملها عبارة عن قصص تبدأ بعقبات ومشاكل تعترض طريق السعادة وتنتهي نهاية سعيدة بعد أن تزال جميع العقبات.

كما يعرفها أرسطو على أنها "محاكاة لأشخاص أدنى مرتبة لا في كل أنواع الرذيلة، بل في جزء منها يخفف عنصر الفكاهة ذلك أن ما يبعث على الضحك هو خطأ أو نقيضة لا تبعث على الألم و لا تجلب التهلكة مثل القناع الكوميدي فهو قبيح و مشوه لكنه تعبير عن الألم والحزن"<sup>4</sup>

فالكوميديا بحسب تعبير أرسطو هي محاكاة رذائل البشر التي تجلب الفكاهة والضحك، والشخصيات الكوميديية هي أدنى مرتبة لنقص إمكاناتها عن الشخصيات الأخرى وبما يتوفر فيها من بلاهة وبلاهة وجهل وهي اذا طرح نقائص البشر للمشاهدين كي يسخروا منها ويضحكوا على أصحابها فهي تهدف أساسا إلى تسليط الأضواء على مشاكل المجتمع بهدف التغيير وهو مرادف للتطهير التراجيدي. فمثلما يؤدي السخط على أمر ما إلى

وإجتماعية في قالب كوميدي بحيث نرى ذلك جليا في  
عديد الأفلام مثل "الطاكسي المخفي، عطللة المفتش الطاهر،  
حسن طيرو، كرنفال في دشرة، ..... الخ"

وهذه الأفلام السالفة كانت مثلا عن جودة الإخراج  
والتمثيل والوسائل المسخرة فكانت بحق مفخرة للسينما  
الجزائرية

ونحن إذ نتطرق بالتحليل لبعضها و ذلك لدراسة  
مختلف الأساليب الكوميدية المستعملة في الماضي والحاضر .

### فيلم الطاكسي المخفي:

**ملخص الفيلم:** مجموعة من الأشخاص يسافرون إلى  
العاصمة و لكل منهم حكاية خاصة لكن بحكم عدم توفر  
النقل فهم يلجؤون إلى إستأجار سيارة "كلونديستان" أو  
كما يسمى الطاكسي المخفي و من هنا تبدأ قصة الفيلم

يأخذنا المخرج إلى بداية قصة كل شخصية من  
الشباب الذي أنهى الخدمة العسكرية إلى الخطيبان اللذان  
يقضيان عطلتهمما ثم يجلينا إلى مشهد المداح في السوق ومنه  
ينتقل إلى الموال الذي يعطينا إنطباعا أنه يحاول الكسب  
السرير ومنه إلى البراح في الأعراس ثم قصة العجوز التي  
تعمل قزاة وتستعمل كل الطرق من أجل كسب المال وكذا  
قصة الشيخ الذي ما زال يحلم بأبجد الماضي كل هؤلاء  
الأشخاص تجمع بينهم سيارة "عبد الله كلونديستان" في  
رحلة إلى العاصمة و لكل منهم غاية من هذه السفيرة ومن  
هنا تبدأ قصة الفيلم فلقد أبدع المخرج من أجل إضحاك  
المشاهد هدا مع وجود ممثلين كبار أمثال "عثمان عريوات،  
وردية، يحيى بن مبروك، حمزة فيغولي" وصراع هاته  
الشخصيات أثناء الرحلة هو ما يعطينا القالب الكوميدي  
الذي أراداه المخرج ، فالمخرج قد أبدع من خلال تصويره

وأیضا "النكتة اللفظية السريعة ... و تعتمد في  
الأساس على السرعة و النية الكوميدية ، و التي تتكون من  
الخلط وعدم الإنسجام، و تفيد كاتب الكوميديا في عملية  
الإيجاز و السرعة، وخلق الإيقاع المنضبط"<sup>8</sup>

ولأن أساس الكوميديا هو الضحك ، يقول "هوزر  
توماس" في شرحه الأسباب التي تدعو الإنسان للضحك  
"إننا نضحك إما بسبب شعور مفاجئ بالسعادة لما أحرزناه  
من إنتصار ، أو بسبب تعرض الآخرين للخرزي و الإهانة ،  
ومن هنا نحن نضحك لشعورنا بالسمو على الآخرين لما في  
ذلك من إشباع لغورنا ، و مجال التحرر اللحظي من  
إحساسنا بالعجز"<sup>9</sup>.

### الكوميديا في السينما الجزائرية :

" لقد إحتلت السينما الجزائرية و على مدى عقود  
من الزمن ، من مسارها الحافل مكانة عربية و دولية هامة،  
ذلك أنها تحلت بقدر كبير من المهنية و الإحترافية العالمية،  
فاقت حتى السينما المصرية، و هي سابقة عليها في الزمن،  
وخير دليل على ذلك أنها الوحيدة عربيا التي نالت جائزة  
الأوسكار، "السعفة الذهبية" في مهرجان "كان" الدولي،  
وهي جائزة لا يناها إلا الكبار، كما نالت جوائز عديدة أقل  
منها شأنًا في محافل إقليمية ودولية"<sup>10</sup>  
كما أنها تميزت بتنوع كبير من خلال طرحها لقضايا عدة،  
كما تميزت بزخم كبير من الإبداع الخلاق، دون أن تغفل  
أنها حضيت بدعم كبير ماديا و فنيا و تقنيا، ساهم في  
تطورها.

وتنوع الاقلام الجزائرية ساهم في الثراء الكبير للسينما  
الجزائرية فهي قد تناولت قضايا عديدة منها قضية الثورة  
الجزائرية التي نالت حصة الأسد كما تناولت قضايا سياسية

رأس البلدية وبعد ذلك مجموعة من المفارقات تلت ذلك التنصيب

يظهر هذا الفيلم حالة الغبن الذي يعاني منه أهل الدوار حيث مسهم التنظيم الإداري الجديد ليصبح دوارهم بلدية وكان لزاما عليهم أن ينتخبو رئيس بلدية يقضي مصالحهم وهنا تتدخل مجموعة من الإنتهازيين في ذلك الدوار وإقتراح "مخلوف البماردي" الرجل الأمي ليصبح فيما بعد رئيس البلدية ونرى فيما بعد في الفيلم كيف سيطرت هاته المجموعة على مفاصل البلدية و طريقة توزيع الأراضي والسكنات وكذا تبديد المال العام فيما لا يفيد وتضخيم الفواتير..... إلخ مع تهميش الكفاءات التي تريد العمل ذلك كله يصوره المخرج بطريقة كاريكاتورية تجعل المتفرج يغرق في الضحك كما يصور المخرج الثقافة في بلادنا بطريقة رمزية ذات دلالات كبيرة بتصويرها على شكل حمار يلبس حلة جديدة هذا ناهيك عن ما يصرف من أموال في المهرجانات بدون طائل هذا مع أن الفيلم وقع في بعض المطبات كبعض المشاهد و الحوارات التي تبعث على الرتابة والملل وكذا سوء توزيع الشخصيات في أمكنة أخرى مثل شخصية العكلي.

وفي الأخير يصور مأساة مخلوف البماردي الرجل الأمي الذي وجد نفسه في مأزق لا يحسد عليه و فواتير لا يمكن تبريرها

وهذا الفيلم يمكن تصنيفه في الكوميديا السوداء أو المسماة المأساة فإننا إذ نضحك على مأساة فهو يصور مأساة تقع في كل بلديات الوطن لكننا مع ذلك نضحك على واقعا الذي نعيشه بكل مرارته وحماقات شخوصه فالكوميديا تقدم لنا الحياة و شخوصها بحماقتهم و نزواتهم

لمشاهد الثورة التي أقمها داخل القصة و هو بهذا أراد أن يتطرق إلى قضية المجاهدين المزيفين في الجزائر من خلال قصة "قويدر الصدام" و المشاهد يغرق في الضحك من خلال المقارنة بين الكلام و الواقع و هنا أيضا تطرق إلى طموح الشاب في أن يصبح مخرجا سينمائيا ثم يأخذنا المخرج إلى عوالم أخرى من خلال وصول السيارة إلى مدينة في الغرب الأمريكي القديم و هنا يظهر لنا من الإبداع الشيء الكثير فلقد أبدع المخرج في الديكور و التصوير فلقد جعلنا و كأننا في مدينة حقيقية من الغرب الأمريكي و هذا في مجمله أعطى للفيلم بعدا كوميديا من نوع آخر من خلال تصوير إندماج شخصيات الفيلم في هذا العالم الغريب

في الكوميديا لا تحقق الشخصيات مبتغاها أو تحقق ذلك بالطريقة الصعبة فكما بدأ المخرج الفيلم بلمحة عن قصة كل شخصية فالشاب الذي كان يطمح لأن يصبح مخرجا أصبح مهرجا و المداح دخل المستشفى من أجل العلاج لكنه لم ينسى أبدا طريقة المداح في الأسواق، والعجوز القزاة دخلت السجن في قضية متاجرة غير شرعية، وهنا يجلنا المخرج إلى نوع من النكتة المضحكة فبعد خروجها من السجن بعد ثلاثة أشهر تجد إبنها ينتظرها وهو يحمل الحقيبة فوق رأسه و كأنه بقي بهذه الوضعية كل هذه المدة أما "عبد الله كلونديستان" فقد تحصل على سيارة طاكسي قانونية و لكنها خارقة للعادة أما الموالم فقد طور عمله من الغش في علف المواشي إلى المضاربة في العمارات وهنا يجلنا المخرج إلى قضيته كما يسمون البقارة ، والشيخ ما زال يحكي أمجاده لأحفاده

**فيلم كرنفال في دشرة :** صور هذا الفيلم حالة الفساد المتفشى في البلديات في مرحلة التسعينات فقد صور مجموعة من الإنتهازيين يستدرجون رجلا أميا لإنتخابه على

10. السينما في الوطن العربي . جماد الكتاب . المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الأدب . الكويت . 1990م . ص 217 .
11. الكوميديا في السينما العربية . مرجع سابق ص 08 .

" لهذا نحن لا نحب الكوميديا في الفن لأنها تقدم لنا النهايات السعيدة بل لأنها تصور أبطالها في كل تجلياتهم ومأزقهم وعيوبهم الإنسانية وهي تتخذ من الضحك موضوعا لهذا "الضحك الإنسان فالكوميديا تقترب من عيوب البشر"<sup>11</sup>

ومن هنا إكتسبت الكوميديا مكانتها الخاصة وإكتسب الفيلم الكوميدي الناجح والقادر على إثارة الضحك الملايين من المشاهدين فالفيلم الكوميدي الجيد نشاهده أكثر من مرة بخلاف ألوان أخرى.

### الهوامش

1. جنون السينما. ترا عبد القادر التلمساني . الهيئة المصرية العامة للكتاب . 2005 م . ص 75 .
2. الفيلم و الجمهور . روبرتاغفال . ترا يوسف عقون . المؤسسة العامة للترجمة و التأليف . د ط . د ت . ص 27 .
3. المعجم المسرحي، مصطلحات المسرح و فنون العرض . لبنان . ناشرون . 2002 . ط 2 ص 375 . 376 .
4. نظرية الدراما الإغريقية . محمد حمري إبراهيم . المكتبة المصرية العامة للنشر . ط 1 . 1994 . ص 89 .
5. تاريخ دراسة الدراما . 1 . أنيكست . ترا ضيف الله مراد . منشورات وزارة الثقافة . سوريا . 2000 . ص 221 .
6. الكوميديا في السينما العربية . ص 13 . محمد منصور . المؤسسة العامة للسينما سوريا 2002 د ط . د ت .
7. هاني أبو الحسن سلام . جماليات الإخراج بين المسرح و السينما دار الوفاء للطباعة و النشر . الإسكندرية ط 2008 . ص 28 .
8. أسامة النقاش ، فن الكتابة الكوميدية . منشورات وزارة الثقافة . سوريا 2012 . ص 32 .
9. نظرية الكوميديا في الأدب و المسرح و السينما ، ترا ماري إدوارد . ضيف أكاديمية الفنون . الرباط وحدة إصدارات المسرح . د ط . د ت .